أسماء الأفعال والأسلوب الإنشائي

فيصل أحمد فؤاد النوري

كلية التربية / ابن رشد للعلوم الإنسانية – جامعة بغداد

ملخص البحث :

يعنى هذا البحث بعلاقة أسماء الأفعال الماضية وأسماء الأفعال المضارعة بالأسلوب الإنشائي الذي لم يفطن إلى حقيقته الأقدمون من النحاة، والمعاصرون إلا قليلا منهم. كما بين البحث أثر حركة التيسير الحديثة في التمهيد لما توصلنا إليه ولا سيما تسليط ضوء اللجنة المصرية الميسِّرة على ما سميَّ بـ(الأساليب). كما عني البحث بتبرئة جمل هذه الأسماء من (الزمن)، وبيان عدم دقة معاني بضعة من هذه الأسماء في توضيحات النحاة القدامى.

المقدمة:

الحمدُ لله جلَّتْ أسماؤه وأفعالهُ ، والصلاةُ والسلامُ على من قال: الحلالُ بَيِّنٌ والحرامُ بَيِّن، وبينهما (مُشَبَّهاتٌ). يطّلعُ طُلابُنا الأعِزّاء على جُمَلٍ وعبارات فيها مفرداتٌ تَحُلُّ أحياناً محلَّ أفعالٍ معيّنة في المعنى والعمل. ويتكّلف النحاةُ في تفسير مفردات أخرى لإقناعهم أنها هي الأخرى تَسلكُ النهجَ ذاتَه؛ فحين يطّلعون على نحو نَزَالِ ودَراكِ ، لا يُساورُهم الشكُّ أنهما مرادفان لـ اْنِزَلْ وأَدْرِكْ مع إحساسهم أن المفردتين الأُوليَيْنِ أقوى وآكَدُ في أداء الأمر أو الالتماس. غير أنهم حين يُلمُّونَ بمقابلة النحاَة لنحو (شتّانَ) بـ (افترقَ) يجهدون في استيعاب مطابقة هذا لذاك لوضوح الفرق بين الإنشاء والخبر؛ فحين تقع أعينُهم على بيت ربيعة مثلاً:

لَشَتّانَ ما بين اليزيدين في النَّدَىْ

ثم نقول لهم: إن هذه الجملة تقابل: افترق الذي بين اليزيدين في الندى ، نُحسّ أن طلابنا يَرْثون لاستيعابنا هذه المقابلة.

تُرى لماذا لم تستقرَّ هذه على واحد من الاسمّية أو الفعلية؟ ولِمَ كانت من (المُشبَّهات)؟ أصحيحٌ أنها قسيم مخالف لهذا وذاك ، وأنها تستحقّ مصطلح (خالفة) كما ذكر جعفر بن صابر؟ ربّما كان ابنُ صابر أدقَّ وأكثر إقناعاً. غير أنَّ طلبتنا توّاقون لمعرفة كيفية وصفها في التحليل الإعرابي.

بلا شك لم يختلف النحاة وعلماءُ المعاني أن جُمَل أسماء أفعال الأمر إنشائية طلبّية. لكنّ المعضلة هي في تَأمُّل أسماء أفعال المُضِيّ والحضور كما تصوّرها النحاة. ليست هي المرّة الأولى التي يُقحِم فيها النحاةُ الزمنَ؛ فقد بَيّنتُ في بحث سابق كيف أقحموا الزمن مع الصفة المشبهة وقالوا: ((لا تكون إلاّ للحال)) [1] وستتبَيّنُ معي أيُّها الباحث الكريم أنّ الزمن ماضياً وحاضراً أُقحِم في تبويب وتفسير ما سُمِّيَ باسم الفعل الماضي واسم الفعل المضارع.

سنتحدّث في صفحاتِ هذا البحث المتواضع عن:

١- نظام الإسناد في النحو العربي.

٢- الأساليب.

٣- الأسلوب الإنشائي في علم المعاني.

٤- أسماء الأفعال.

٥- أسماء أفعال الأمر.

٦- أسماء أفعال المُضِيّ والحضور.

٧- كيفية وصفها في التحليل الإعرابي.

ثمّ نُطلعُ القارئ الكريم على نتائج البحث في خاتمته. أدعو الله أن يَحُلَّ عقدةً من لساني ليفقهوا قولي. ربِّ لاعِلْمَ لي إلا ما علّمتَني، إنك أنت العليم الوهّاب.

١- نظام الإسناد في النحو العربي:

كلامُنـــا لفـــظٌ مفيـــدٌ كاسْـــتقِمْ واسْـــمٌ وفعـــلٌ ثـــمَّ حـــرفٌ الكَلِـــمْ

لا مفردة تخرج عن نطاق (الاسم) أو (الفعل) أو (الحرف) في تحليل النحاة الإعرابي. ولا جملة يمكن أن تَعْدَمَ ركناً من ركنيها الأساسيين: المسند والمسند إليه، ويتضمنان الفعل والفاعل ، والخبر والمبتدأ ... الخ. ثم تأتي التكملة ، وهي مُتمّمة ومقيِّدة للركنين الأساسين.

التحليل مع الصيغ المعدولة القياسية ، نحو نَزالِ ودَراكِ وبَدارِ- غير مُشكِل، لأنه كفعل الأمر اِنزلْ وأَدرِك وبادِرْ – مُسنَد و المخاطبُ هو المسندُ إليه. وعند التأمُّل نُحِسّ أنه هو فِعل الأمر مؤكَّداً من خلال العُدول الواضح في الصيغة. متى عُدِل؟ ... كيف عُدِل؟ .. لِمَ عُدِل؟ أسئلة تتعلقّ بالـ Etymology (علم أصل وتاريخ الكلمة) . أما التحليل مع الصيغ المنقولة ، كـ (إليك عنّي) و (دُونك الكتابَ) فهو على الرأي السائد الذي يحمّل الكلمة معنى الفعل الذي تؤدّيه، أو على رأي مَنْ يُقدِّرُ فعلاً محذوفاً يكون هذا العِوَضُ متعلِّقاً به- هذا التحليل يُفضِي إلى تثبيت فِعل أمر مسند، ومخاطب مسند إليه.

حتى الآن لم يُختَرقْ نظامُ الإسناد. ثم يُفاجَأُ النحاةُ بالمرتجل ، نحو صَهْ ومَهْ. ولما كان ذاك يؤدّي معنى اسكُتْ، وهذا معنى انكفِفْ ، فليس هناك كبيرُ مُشكِل في أن يكون كلٌّ منهما فعلَ أمرٍ جامد لولا أنه أُثِرَ تنوين كل منهما في سياق معلوم ؛ فهناك صَهٍ ومَهٍ. والتنوين كما

يقول ابنُ مالك (بالجرّ والتنوين والندا وأل) من علامات الأسماء ولولا أنهُ يلتزم صيغةً واحدةً عند تنوع العدد والجنس. من هنا ارْتأى النحاة وَسْمَهُ بـ (اسم الفعل) . ولْنقُلْ في (إيهِ) التي بمعنى (امضِ في حديثِكَ) ما قلناه مع أختيها.

وحتى الآن لم يُحَرج النحاةُ إلا بتفسير دخول تنوين على فِعْل والحكم المذكور مع العدد والجنس. لكنهم حين أرادوا إخضاعَ جُمَل (هيهاتَ) و (شتان) ونحوهما إلى نظام الإسناد وجدوا أن مرفوع هيهات وشتان مسند إليه من خلال المعنى. إذاً لابدّ أن يكون كل من هيهات وشتان مسنداً. مالوا إلى عَدِّ كُل منهما فعلاً لاعتبارات مذكورة في كتبهم[٢].

وبما أنّ معنى السياق في الجملتين يعبّر عن (البُعْد) و(الافتراق) فيما أحسَّهُ متقدِّمو النحاة – مالوا إلى واحد من توجيهين لكي يحافظوا على نظام الإسناد ؛ فعدَّها جمهورُ البصريين أسماء لتكون مُسندة ، وعدّها الكوفيون أفعالاً لتكون أيضاً مُسندة. وظلّ فريقٌ من معتدلي البصريين غير مطمَئنّينَ إلى الرأيين؛ فاستنبطوا رأياً بين بين، وسَعَوْا إلى إقناع الدارسين أنه لا يعارض نظام الإسناد أن تكون أسماءً أفعالاً، وأطلقوا عليها أسماء الأفعالِ[٣].

تُرى هل يمكن أن نُقِنعَ المحافظين، وأنا منهم، أنه بالإمكان تَصوُّر جملة مفيدة لا تتضمّن الركنين الأساسيين في نظام الإسناد؟ سنُفِيض في الكلام على هذا في الفصل التالي (الأساليب).

٢ – الأساليب:

قبل ستة وثلاثين عاماً تكلّمتُ بالتفصيل على هذا الموضوع في أطروحة الماجستير[٤] تَسْمِيتُها (الأساليب) ما آثرتْهُ اللجنةُ المصرية التيسيرية عام ١٩٣٨م بعد أن نشر الأستاذ إبراهيم مصطفى (إحياءَهُ) في عام ١٩٣٧[٥]. سمّاها البعض (التراكيب الانفعالية) وآخرُ (اليعربيات) و (الصيغ الشاذّة) و(المقولات اللغوية) ... الخ[٦].

إن المقصود بالأساليب: الجُمَل التي تُفيد معنى يَحسُن السكوت عليه– كما هو شائع في مصادر نحونا العربي– غيرَ أنها لا تخضع لنظام الإسناد الذي يكون لزاماً على وفقه أن تتضمّن الجملةُ مسنداً ومسنداً إليه. وهي عادة تعبِّرُ عن العواطف والانفعالات ممّا دعا الأستاذ عبدالمجيد عابدين أن يختصّها بمصطلح (التراكيب الانفعالية) وعلى ذكر التعبيرات الانفعالية وخصوصيتها في عدم خضوعها للنظام المعتاد في نحو اية لغة في العالم، نذكر ما اطلعنا عليه في الـ grammaire الفرنسي والـ grammar الانكليزي. وهي في اللغة الفرنسية أوضح منها في الانكليزية ؛ ففي تصريف الأفعال الفرنسية صيغة التعبير المعتاد الذي يُسَمَّى الـ indicatif

أي : الدلاليّ وهو يقابل (الخبريّ) في اللغة العربية. للفعل في هذه الصيغة بنية معروفة في الأزمنة: الماضي والحاضر والمستقبل وتفريعاتها. وهناك الصيغ الأخرى غير الدلالية: كالشرطية والمصدر المطلق وصيغة اسم الفاعل واسم المفعول[٧]. غير أن هناك صيغة تختلف عن الدلالية تسمَّى الـ Subjonctif تتضمن تعبيرات انفعالية مُعَيَّنة يَصِفُها الأستاذ موجيه Mauger بـ:

"Il traduit essentiellement un movement de l' ame."[٨]

أي: هي تترجم أساساً حركة النفس.

ومن النماذج التي تتغيّر فيها صيغة الفعل على وفق أسلوب الـ Subjonctif ما صُدِّرَ من الكلام برغبة أو شكّ مصوغاً بالفعل vouloir أو douter. ولا داعي للاستطراد في هذا ، لأنّ القصد ممّا ذكرناه تسليط الضوء على أنموذج في لغة من عائلة بعيدة عن عائلة لغتنا تختلف فيها صيغة الفعل حين تنتقل من الأسلوب الدلالي إلى أسلوب آخر يتضمن فيما يتضمنه جانباً من تعبيرات تخصّ الانفعال والعاطفة.

تقول لجنة التيسير المصرية عن مثل هذه التركيبات: إنها ((تعبيرات خاصّة نطقها العربُ على الصورة التي وصلت إلينا. نَحَفُظها ونقيسُ عليها)) [٩].

لقد أصبح من الضروري أخذ (الأساليب) بنظر الاعتبار في تَقعيد أية لغة وإلا فإن النحويّ يكون مُلزماً بالاعتماد على التقديرات والتأويلات والتصوُّرات البعيدة عن نهج الوصف descriptive الذي أكّد ضرورتَه علمُ اللغة الحديث Linguistics .

(أُفٍّ) كلمة تدلّ على التضجُّر وتقوم مقام الجملة المفيدة دون حاجة إلى الاعتماد على المسند والمسند إليه، فضلاً عن براءتها من (الزمن) الذي ألصقه النحاةُ بها. ولم يأتها الزمن إلاّ من الفعل (أتضجَّرُ) الذي قابل النحاةُ به هذه الكلمة. وحين قال الأساتذة الذين أخرجوا معجم مجمع اللغة العربية في تفسير هذه المادّة: ((كلمة تَضجُّر وتكرُّه)) [١٠] عبّروا عن حقيقتها مبتعدين عن تَكلُّف النحاة الذي قابلها بالفعل المضارع. غير أنهم استسلموا للمقابلة النحوية حين قاموا بتفسير (شتّان) [١١] فقابلوها بـ (بَعُدَ) و (عَظُمَ الفَرْقُ) لأنهم كما يبدو – لم يرغبوا في قطع الوصل بما ورد في المعجمات الأولى.

وإذا تحدّثنا عن (أُفٍّ) وسائر أسماء الأفعال التي قرنها النحاةُ بزمن الحاضر والمُضِيّ– بلغة علماء المعاني– نقول: قابل النحاةُ أسماء الأفعال للزمنين الحاضر والماضي بالأفعال (بَعُدَ) و(افترقَ) و(أتضجَّرُ) و(أرْضَىٰ).. الخ معتمدين على جملة الفعل المفسِّر الخبريّة. وهم لا ينكرون خبرّية جُمَل أسماء الأفعال هذه، عل حين أن جميع جُمَل أسماء الأفعال هذه تختلف

تماماً عن جمل الأفعال المفُسِّرة من حيثُ إن الأولى إنشائية، والثانية خبرية ؛ فالمطابقةُ للواقع وعَدَمُها، والصدق والكذب تَصِحُّ على الجُمَل المفسِّرة ولا تصحُّ على جمل أسماء الأفعال.

لقد أحسَّ الدكتور تمام حسان بهذا حين قال: ((وهي لا تساوي مطلقاً معاني الأفعال التي قالوا بأنها قد استُعمِلتْ في مواضعها؛ فَفَرْقٌ كبير بين قولك: (أَوِّهْ) ، وهو صوت للإفصاح عن إحساسك بألم مفاجئ، وبين قولك: (أتوجَّعُ) الذي هو إخبار)) [١٢].

وحين نعود إلى المصادر العربية القديمة كالمعجمات وكتب النحو، لانَعْدَمُ تفسيراتٍ لهذه المفردات تؤكد دلالة بعضها على (الدُّعاء) وبعضها على (التعجُّب)، مما يعكس إحساسهم بأن تركيباتها إنشائية . وقد بيّنتُ في بحث سابق لي كيف أن نفراً من النحاة كان يظن أن أسلوب التعجب الإنشائيَّ خبريٌّ، وهو وهم[١٣].

الأستاذ عباس حسن المتفق مع النحاة يُقِرُّ أحياناً بأن اسم فعلٍ ماضٍ كـ (سرعان) قد يتضمّن التعجُّب. يقول: ((وقد يتضمّن في الوقت نفسه التعجبَ من السرعة؛ فكأنك تقول: ما أسرعه!! [١٤]. ويقول الجوهري عن (لَعاً): ((ويقالُ للعاثِر : لعاً لكَ : دعاء له بأن ينتعش.)) [١٥] وفي معجم مجمع اللغة: ((لعاً: صوت معناه الدعاء للعاثر بأن يرتفع من عثرته. يُقالُ: لعاً لفلان. وفي الدعاء عليه بالتعس، يقولون: لا لَعاً له)) [١٦].

وفي تفسير المنجد تأكيد أنها تمثّل جملة دعائية. ذكر أنها ((دعاء له ، أي: أنعشك اللهُ وأقامك من عثرتك. و(لالعاً لك) دعاء عليه، أي: لا أنعشك اللهُ)) [١٧]. أقول: أصبحتْ هذه المفردة مهجورة في اللغة الحديثة غير ما تجدُهُ في لغة شاعر كبير كشوقي في مسرحيته:

((ليلى: آهٍ من السُّقْمِ

عفراء: ألفَ عافيةٍ

ليلى: آهٍ من الحادثاتِ

عفراء: ألفَ لَعَاْ)) [١٨].

إن الجُمَلَ المذكورة، نحو: أنعشكَ الله ، ولا أنعشكَ اللهُ – تُعرَفُ لدى علماء المعاني: خبرية لفظاً إنشائية معنى لتعبيرها عن الدعاء. من هنا نرى أن مقابلة (لعاً) بالفعل الماضي ((انتعش من مكروه أصابه، ونهضَ من عثرة)) [١٩] – لا مُسَوِّغَ له ، ولاسيما انه أتبعه بـ ((وهو يتضمّن الدعاء بالسلامة)).

وعمّا يتعلق بالتعجُّب سنتحدَّثُ في الفصل المخصّصِ لأسماء الأفعال التي وسمها النحاة أسماءَ أفعالٍ مضارعة– سنتحدثُ عن (وا) و(وَيْ) و(واهاً) التي قابلوها بفعل الجملة الخبرية (أعجَبُ).

ما أردنا أن نقوله في هذا الفصل (الأساليب) هو أنّ ما سمّاه النحاةُ أسماءَ أفعال ماضية أو مضارعة لم تكن إلا كلماتٍ تعبّرُ عن الاستحالة مثلاً (هيهات)، وانعدام المقارنة أو الموازنة (شتان) ... الخ من التعبيرات الانفعالية التي لا تستلزم نظام إسناد صارم المطالب. وهي جميعاً أجزاء من أساليب إنشائية لا علاقة لها البَتّةَ بالزمن . أمّا كيف يكون موقعها في التحليل الإعرابي إذا لم ترتبط بنظام الإسناد فسنبحثهُ إن شاء الله في الفصل السابع.

٣- الأسلوب الإنشائي في علم المعاني:

لو تصفّحْنا كتاباً أنموذجاً في البلاغة العربية لوجدناه يقسم الأسلوب الإنشائي على طلبيّ وغير طلبيّ. وهم مَهَرةٌ مُسْتفيضَونَ باسطون مُتوسِّعونَ مُفَرِّعون في الإنشاء الطلبي. وهو: ((ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويكون بالأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني والنداء)) كما ذكروا[٢٠]. والقزويني حين يتحدّث عن الإنشاء الطلبي يقول: ((الإنشاء ضربان: طلبٌ وغيرُ طلب. والطلبُ .. وهو المقصودُ بالنظر ههنا)) [٢١]. ومؤلفا البلاغة الواضحة يُفسّرانِ هذا الكلام بـ ((وأنواع الإنشاء غير الطلبي ليست من مباحث علم المعاني، ولذلك نقتصر فيه على ما ذكرنا ولا نُطيل فيها البحث)) [٢٢]. ويقصدان بـ ((ما ذكرنا)): التعجب، والمدح والذم، والقسم وأفعال الرجاء وصيغ العقود[٢٣]. ثم ذكرا في الهامش ما كان خبرياً في اللفظ إنشائياً في المعنى كاستعمال الفعل الماضي والمضارع في الدعاء ، نحو: رعاكَ اللهُ ، ويرعاكَ اللهُ. أقول: أولاً) ليس كل ما ذكر ضمن دائرة الإنشاء غير الطلبي هو كلّ ما يتضمَّنُه هذا القسيم. والإنشاء غير الطلبي يتفرّع في الغالب (أو ينطلق) ممّا ذكرناه قبل قليل في فصل (الأساليب)- من التعبيرات الانفعالية. وهنا نهتبل الفرصة لنوضّح أن جميع ما ذُكر من أسماء الأفعال الماضية وأسماء الأفعال المضارعة تمثّل التعبيرات المنضوية تحت لواء الإنشاء غير الطلبي، وأن ا لزمن – كما قلنا- أُلصِقَ بها بحكم مقابلتها بأفعال مرتبطة بالزمن وسنتحدّث عنها في فصلها المخصّص لها. ثانياً) علماء المعاني ينفرون من بسط كلامهم على مفردات الإنشاء غير الطلبي ومؤلف الإيضاح بعد أن يوضح في سبع عشرة صفحة أنواع الإنشاء الطلبي- يذكر في بضعة اسطر وقوع الخبر موقع الإنشاء[٢٤]. أقول: من هُنا بُعِثرتْ موادُّ إنشائية في كتب النحو وعولجت على وفق قالب النحاة؛ فشَوَّهَ طبيعتَها وخَفِيَتْ حقيقتُها الإنشائية، ومنها (أسماء الأفعال) التي جعل لها النحاةُ دلالة زمنية لا لشيء سوى ما لمحوه في مقابلاتها المُفسِّرة الخبرية من مُضِيّ وحضور: بَعُدَ، افترقَ، أسرعَ ، اتضجَّرُ، أستحسِنُ أو أرضى، وهكذا.

إن الإنشاء غير الطلبي كثير التنوُّع في لغتنا المعطاء. ولو أُخِذَ – في رأيي- بنظر الاعتبار لانتشل كثيراً من الأساليب في أبوابنا النحوية من المعالجات التي لا تعكس طبيعة هذه الأساليب قَدْرَ ما تفرض نظامَ الإسناد في غير موضعه فتلجأ إلى إخضاع هذه التعبيرات اللغوية إلى تقديرات وتأويلات المنطق العقلي الذي اعتمدوه.

٤-أسماء الأفعال:

كما ذكرنا في الصفحة الثانية، لا يمكن لدى النحاة أن تخرج كلمة عن واحد من أقانيمهم الثلاثة: الاسم والفعل والحرف. كما لا يمكن لجملة أن تقوم إلا على أساس ركنين أساسيين: المسند والمسند إليه. رصدوا أماراتِ الأسماء فوجدوها: الجرّ والتنوين والنداء و(أل) كما ذكر ابنُ مالك في الخُلاصة. لحظ البصريون أن من هذه المفردات ما يُنوَّنُ جوازاً ، نحوُ: صهٍ ومهٍ وإيهٍ . ومنها ما يُنوَّكُ وجوباً، نحوُ : أُفٍّ ومنها ما يمتنع عن التنوين، نحو: هيهاتَ وشَتّانَ وأوّهْ، عدا الأفعال المعدولة عن صيغ الأمر إلى صيغة فَعالِ. وعلى الرغم من دلالة بعضها على الأمر وأداء وظيفته التركيبية قال جمهورُ البصريين: إنها أسماء[٢٥] وما قَوَّى هذا الاعتبار لديهم أنهم وجدوا مثلَ (النَّجاءَك) بمعنى (أُنجُ) [٢٦] وهو مقترن بـ (أل). كما إن صِيَغها مخالفة لِصِيَغ الأفعال ولا تتصرَّف تَصَرُّفَها. أما الكوفيون فيبدو أنهم تغاضَوا عمّا سُمِّيَ أسماء الأفعال الماضية والمضارعة، وهي التي تدلّ عندهم على المُضِيّ والحضور، وظلَّ في ذهنهم أنَّ جميعها ملحَق بما سُمِّي أسماء أفعال الأمر، والأمُر واضحٌ من سياق كل منها؛ فقال جمهورُهم : إنها أفعال. الدكتور المخزومي مؤلِّف أطروحة الدكتوراه (مدرسة الكوفة) ١٩٥٣ يدافع عن رأيهم ويرى أن ((هذه الكلمات الشاذّة أفعال حقيقية، كما قال الكوفيون، ولكنها تخلَّفتْ عن سائر الأفعال؛ فلم تسلك سبيل الأفعال في تصرُّفها ولا في صياغتها ولا في اتّصالها باللواحق من ضمير وتاء تأنيث)) [٢٧]. لهذا يَسمِّيها المخزومي (الأفعال المتَخلِّفة) وظلّ بين هؤلاءِ وهؤلاء رَهْطٌ من معتدلي نُحاة البصرة مالوا إلى عَدِّها قسيماً بينَ بينَ ؛ فسُمِّيتْ (أسماء الأفعال) [٢٨].

وساد هذا المفهوم في النحو المتبلور منذ القرون الأولى حتى عصرنا. وما قَوَّى هذا التبويبَ أنّ لها أحكاماً خاصّة بها فهي لا تضاف. قالوا : وما أُضيف منها فهو مصدر ؛ فـ (رويدَ أخاك) اسم فعل، و (رويدَ أخيك) مصدر و رأوا أن السائد في النصوص عدمُ تقدُّم معمولها عليها. لذا أوّلوا وقدّروا في قوله تعالى ((كتابَ اللهِ عليكم)) النساء/٢٤ خلافاً للكسائي. ورأوا أن المضارع يُجزَمُ في جواب أمرها ، غير أنه لا ينصب بعد الفاء، وخلافاً للكسائي أيضاً. ووجدوا أن واحدَها الذي عدّوه كالفعل يلزم حالة واحدة من حيث العدد والجنس ، فلا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع. لذا صحّحوا

لمن وَهَمَ في (هاتِ) و (تعالَ) وألزموا عَدَّهما فعلي أمر جامدين لا اسمين من أسماء الأفعال ؛ فقد ورد في النصوص (هاتي) و (تعالَيْ) بكثرة. واستثنوا من هذا المنقولات التي يلحقها كاف الخطاب، نحو (عليك). أمّا الاختلاف في المعنى مع المنوّنات جوازاً ؛ فقد ذكروا أن التنوين للتنكير ؛ فقولك (صَهٍ!) يعني طلب السكوت عن كل شيء، وقولك (صَهْ!) يعني السكوت عن أمر معيَّن . هكذا قالوا[٢٩].

اتّجه نفرٌ من العلماء في العصر الحديث إلى التشكيك في بضع مفردات من هذه (الأسماء) (الأفعال) ؛ فنقّبوا في الساميات وتأريخ كل منها والموازنة بين ما يمكن أن يُوازَنَ منه. ومع الاهتمام بنظرية الثنائية اللغوية وبحوث الأب انستاس والدومنكي والحوار مع الدكتور مصطفى جواد ثم الدكتور إبراهيم السامرائي– سُلِّط الضوء على ثنائية قسم منها وأن أصلها (أُفْ) و (صَهْ) و(مَهْ) [٣٠]. ويرى الدكتور السامرائي أنْ (ليس من فائدة في إطلاق مصطلح اسم الفعل عليها)) [٣١] وذكر أنها آلَتْ إلى الثلاثية في الاستعمال لأسباب صوتية كما هو الحال في سائر الساميات. وقال أيضاً: ((بل ربّما كانت هذه الثنائيات في أصلها صوتاً واحداً، وهو الصاد في (صَهْ) والميم في (مَهْ))) ثم قال: ((وممّا يؤيدّ ذلك أن عامّية أهل العراق مازالت تستعمل صوت الصاد أو السين لطلب السَكَوت)).

أقول: إنّ البحث في الـ Etymology (دراسة أصول الكلمات) حملَ الكثير من كبار الباحثين وعلماء اللغة في القرن العشرين على أن يجعلوا باحثي النحو في حيرة من أمرهم ؛ فكونُ هذه المفردة أحادية أو ثنائية في الأصل، أو أصلُ (اللهمّ) في العبرية ما ذكروه – لا يُغيِّرُ من الحُكْم النحويّ بعدَ أن آلت إلى غير ما كانتْ عليه، لأن النحو الوصفي يعني (الآن) وما يترتَّب على حاضر المفردة من أحكام تركيبيّة. أمّا البحثُ في أصول الكلمات فهو بحث تأريخي ((يدرس أموراً جزئية، وليس من أغراضه ولا من شأن دراسته الوصول إلى قوانين)) [٣٢] كما ذكر الدكتور علي عبدالواحد وافي.

وأقول أيضاً: بعد ظهور (مُوفِي) الكنغراوي في بداية العشرينيّات ، ثم مقال الدكتور مصطفى جواد في مجلّة المعلّم الجديد (النحو الكوفي وفائدته في تيسير اللغة العربية) عام ١٩٥٠ ، ثم أطروحة الدكتور المخزومي (مدرسة الكوفة) ١٩٥٣[٣٣]– تعصّبَ جمعٌ من الباحثين إلى النحو الكوفي ، على حين أنّ ابن مالك في ألفيّته الغَرّاء أخذ من علماء البصرة والكوفة وغيرهم ما وجده مناسباً ومطابقاً لواقع اللغة دون تعَصُّب ؛ فكان جديراً بما جزاه اللهُ من واسع الشهرة والانتشار في وطننا العربي حتى الآن.

٥- أسماء أفعال الأمر:

لا يكاد أحدٌ من الباحثين لا يُقِرُّ أن أسماء أفعال الأمر المعدولة القياسية كـ (نَزالِ) المشهورة في كتبهم هي أفعال أمر حقيقية اعتمد العرب على هذا التغيير فيها (العَدْل) لتكون أبلغَ في الأمر وآكدَ من أفعال الأمر نفسها[٣٤]. وإلحاقُها بأسماء الأفعال متأتٍّ من صيغة (فَعالِ) التي تستخدم في أسماء الإناث كـ (حَذامِ) وفي شَتْمهنّ أيضاً في النداء (يافَساقِ)[٣٥].

ومن خضوعها لأحكام أسماء الأفعال التي ذكرناها آنفاً. يقول الأعلم عن (حَذارِ) وأمثالها: ((وهو اسم لفعل الأمر الواقع موقعه ، وكان حقه السكون لأن فعل الأمر ساكن، إلا أنه حُرِّك لالتقاء الساكنين، وخُصَّ بالكسر لأنه اسم مؤنث والكسرةُ والياء مما يخصّ به المؤنث ، كقولك : أنتِ تذهبين ونحوه)) اهـ[٣٦].

أمّا أسماء أفعال الأمر المنقولة فمنها ما نُقِل عن جار ومجرور، نحو: (إليك عني) بمعنى تَنَحَّ، وما نقل عن ظرف كـ: (دونَكَ الكتابَ) ، أي: خُذْهُ وما نقل عن مصدر ، نحو (رويدَ أخاكَ) ، أي : أَمْهِلْهُ ، وما نُقِل عن تنبيه ، نحو: (هالكتابَ) ، أي: خُذْهُ. وهي جميعاً سماعية.

أمّا المرتجلة ، فنحو (آمينَ) بمعنى اسْتجبْ . وهي أيضاً سماعية . ولن نُطيلَ في الكلام على أسماء أفعال الأمر ، لأنها جميعاً تمثّلَ أسلوباً إنشائياً بإجماع النحاة وعلماء المعاني.

٦- أسماء الأفعال الماضية والمضارعة:

لأنهم لم يستطيعوا أن يقولوا في نحو (أُفٍّ) كلمة تدلّ عل التَّضجُّر ، حلَّلُوها في الإعراب على أنها اسمُ فعل مضارع بمعنى (أتضجَّرُ). – لماذا؟- لأن الكلمة ، كما ذكرنا لابدَّ أن تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً. لايمكن أن تكون حرفاً لأنها أولاً منوَّنة، وثانياً لأنها تدلُّ على معنىً في نفسها لا في غيرها كسائر الحروف[٣٧]. بقى أن تكون اسماً أو فعلاً .فيها التنوين من أمارات الأسماء. لكنها كلام ، أي: جملة مفيدة. تُرى كيف يستنبطون المسند والمسند إليه؟- وجدوا أنها تعبِّرُ عن التضجُّر غير أنَّ عدَّها اسماً يؤول بالكلام إلى تقدير لا يتلاءم مع أصول الكلام في الحذف والتقدير، فآثروا – كما يبدو – أن تمثل (فِعْلاً). ولعدم قيام دليل على حصول التضجر في الزمن الماضي اختاروا أن يكون الحاضرُ نصيبها ؛ فكانت (أُفٍّ) اسمَ فعل مضارع بمعنى (أتضجَّرُ) ولكون (أَتضجّرُ) يُمثّل أسلوباً خبرياً، لم يبالوا أن يكون اسمُ فِعْلهم هذا إخباراً . وهو في رأيي المُشوِّهُ لطبيعة أسلوب جميع أسماء الأفعال التي وسموها بالماضية والمضارعة. وَلْنقُلْ في (أَوَّهْ) التي فسّروها بـ (أتوَجَّعُ) ما قلناهُ في أختها (أُفٍّ). وكذلك (آهاً) الدالة على التحسُّر ، قوبلتْ بـ (أتوجّعُ).

والأستاذ عباس حسن حين يورد البيت :

آهاً لها من ليالٍ !! هَل تعودُ كما كانتْ ؟ وأيُّ ليالٍ عاد ماضيْها؟

يضعُ علامتي تعجُّب (!!) بعد جملة (آهاً) [٣٨].

وهنا نأتي إلى ما دَلَّ على التعجُّب: وا ، وَيْ ، واهاً[٣٩]. قال تعالى: ﴿وَيْ كأنه لا يُفلح الكافرون﴾ القصص/٨٢. وقال أحدُهم:

وا بأبي أنتِ وفُوكِ الأشنبُ كأنَّما ذُرَّ عليه الزَّرنَبُ

واستشهدوا ببيت يُنسبُ لرؤبة وآخرين:

واهاً لسلمى ثم واهاً واها

هي المُنَى لو أنّنا نلناها

في الصحاح (لِرَيّا) [٤٠]. ومُثِّلَ ببيتي أبي العتاهية الجميلين:

أيـــا واهـــاً لِـــذِكْرِ اللـــه يـــا واهـــاً لـــه واهـــا

لقـــد طَيَّـــبَ ذكـــرُ اللـــه بالتســـبيح أفواهـــا

وأرى أن كلمة (تَعجُّب) أُلصقَتْ بـ (واهاً) لأنّها للاستطابة لا للتعجُّب من طيب الشيء كما قالوا[٤١]. وهنا يدخل أسلوب التعجّب الإنشائي ليفسروا به (واهاً). قال الجوهري: ((إذا تعجّبتَ من طيب الشيء قلتَ: واهاً له: ما أطيبَهُ!)). كما قلتُ قبل قليل ، لدِقّة التعبير نقول: هي للاستطابة لا للتعجب من طيب الشيء. وتأتي (واهاً) للتعبير عن التلهُّف أيضاً. يقال: واهاً على ما فات[٤٢].

نعود لموضوع التعجب الذي لفت انتباه الأستاذ عباس حسن. هو ينهج نهج النحاة في التعامل مع أسماء الأفعال الماضية والمضارعة على أنها تمثّل أساليب خبرية. لكنّه يستدرك لأنه يُحِسّ أن الإنشاء واضحٌ فيها. قال في (سُرعان): ((وقد يتضمّن في الوقت نفسه التعجب من السرعة؛ فكأنك تقول: ما أسْرَعَهُ!!)) [٤٣].

ويبدو أنه معجب بالتعجُّب فيدلّ بالعلامتين. مع هذا يظل على وفائه للنحاة أنها إخبار. وعن (لعاً) و(دعدعاً) ذكر أن معناهما ((انتعش من مكروه أصابه، ونهض من عثرة)) ثم أتبعه بـ ((وهو يتضمن الدعاء بالسلامة)). والدعاء كالتعجب إنشاء.

أستاذُنا يُقِرّ بهذا أيضاً. يقول: ((وما كان بمعنى الخبر يفيد التعجب إضافة إلى المبالغة والتوكيد، وذلك نحو (هيهات الأمل)، أي: ما أبعده. قال تعالى: ﴿هيهاتَ هيهاتَ لما توعدون﴾ المؤمنون/٣٧)) [٤٤]. ثم يقول بعدئذ: ((وكل ما هو بمعنى الخبر ففيه معنى التعجب؛ فمعنى

هيهات ، أي: ما أبعده ، وشتان، أي: ما أشد الافتراق، وسرعان ووشكان ، أي: ما أسرعه، وبطآن، أي: ما أبطأه. والتعجب هو التأكيد المذكور)).

قبلَ الحَوْم حول معنى الآية الكريمة، والتحدُّث عن هيهات وشتان- أقول: أَظنُّ أن ما ذكره القدامى والمعاصرون من تَضَمُّن هذه الكلمات معنى (التعجب) إنّما أرادوا به الإنشاء، والتعجب هو أحد المعاني التي يعبّر العربيُّ عنها بالإنشاء أحياناً وبالخبر حيناً؛ فحين تقول: إني لأعجَبُ من إنكارك لهذا على الرغم من وضوحه ، تُعبرِّ بأسلوب خبري عن عَجَبك . وحين تقول: ما أشَدَّ إنكارَكَ لهذا على الرغم من وضوحه، تعبرّ بأسلوب إنشائي عن العجب نفسه. وحين قال أبو العتاهية: (واهاً لِذكر الله) لم يُرِدْ: (أعجَبُ من طيب ذكر الله) كما قالوا. بل أرادَ: إني استطيبُ ذكرَ الله. غير أن هذه الجملة خبرية بعكس جملة (واهاً) الإنشائية. وهنا نلفت الانتباه إلى أن الزمن واضح في الخبر ، غائب تماماً عن الإنشاء.

نعود إلى الآية الكريمة: ((هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعَدُونَ)). هو قول الكَفَرة من أقوام بعد قوم نوح (ع) يتهكمون بالبعث ، كما أوضحتْ كتبُ التفسير. وتفسيرُ النحاة والمفسِّرين لها بأنها تعني البُعْد أو بصيغة الماضي (بَعُدَ) لا يترجمُ إنكارَهم. إن مقابلتها بالبُعد يعني أنهم مؤمنون بالبعث ، غير أنهم يستبعدونه ويرون أنه لن يحصل قريباً. والسياق لا يسمحُ به. هذا من حيثُ المعنى. ومن حيث التركيب رأى النحاةُ أن ما أطلقوا عليه اسم فعل ماضٍ يحتاج إلى فاعل، فحكموا بزيادة اللام لتكون (ما) هي الفاعل. و(هيهات) كلمة تدلُّ على (الاستحالة)، وقد تدلّ على البُعد، ولكنّها لا يمكن أن تَحُلَّ محلَّ (بَعُدَ) المُعَبّر عن الزمن والإخبار. لأنّ في الشعر العربي ما يدلّ أنها تأتي مفردةً أحياناً بلا مرفوع بعدها. وبيت (اليتيمة) المنسوبة إلى دوقلة المنبجيّ وآخرين يُجَسِّدُ ما نقوله معنىً وتركيباً:

آليتُ اَمْدَحُ مُقرِفاً أبداً ... يبقَى المديحُ، ويَنْفَدُ الرِّفْدُ

هيهاتَ، يأبَىْ ذاكَ لي سَلَفٌ ... خَمَدُوا ، ولم يخمِدْ لهم مَجْدُ

وإذا كان شاعرُ اليتيمة من عصر الاحتجاج أو من العصر العباسي بعدئذ فإن أبيات القصيدة التي تتجاوز الستِّين تدلُّ على التزام شاعرها بقواعد التركيب النحويّ القديم.

(شتانَ) أختُ (هيهاتَ) ، وهي اسمُ فعلٍ ماض – عندهم – بمعنى : افترقَ .

قال الأعشى:

شتانَ ما يَوْمِي على كُوْرِها ... ويَومُ حَيّانَ أخي جابرِ[٤٥]

أقول: رّبما كان مقابلة (شتانَ) بـ (افترقَ) أكثر مناسبةً ووضوحاً من مقابلة (هيهات) بـ (بَعُدَ) ذلك أن الاشتقاق يربط (شتان) بـ (الشتات) الذي يدلّ عل الافتراق. و(شتانَ) يُعبرِّ عن بُعد المقارنة أو الموازنة ، أو انعدامهما بين أمرين أو شخصين. الأعشى في هذا البيت يصفُ شقاءَهُ ونعيم حيّان، وهو من سادات بني حنيفة.

قبل أن نسترسل في كلامنا نقول: لابُدَّ أن نكون قد لحظنا أن (أُفٍّ) و (أَوّهْ) و (واهاً) و (وَيْ) و (بَخٍ) التي تعبِّرُ عن الاستحسان والرِّضى لم يكن بكل واحدة منها حاجة إلى اسم ظاهر مرفوع ، كما هو الحال مع (هيهات) و (شتان) . لنُوازنْ بين قول الشاعر:

وَيْ كأنْ مَنْ يكنْ لهُ نَشَبٌ يُحْـ بَبْ، ومَنْ يفتِقرْ يَعِشْ عَيْشَ ضُرِّ

وقول جرير :

فهيهاتَ هيهاتَ العقيقُ ومن بهِ وهيهاتَ خلٌّ بالعقيق نُواصِلُهْ

و(شتان) في قول ابن زُرارة :

شتان هذا والعناقُ والنَّوْمْ والمَشربُ الباردُ في ظِلِّ الدَّوْمْ

أقول: لهذا السبب أُسِندَ ضميرُ المتكلِّم إلى كل من خمس الكلمات المذكورة:
(أُفٍّ) وما بعدها ، وقوبلتْ بفعل مضارع لا ماضٍ ، لأن الماضي إذا أُسِندَ إلى المتكلِّم احتاج إلى تاء الفاعل. وهنا نُذْكِرُ القارئ الكريم أن العربَ تقول في الإخبار: أفَّ وتأفَّفَ في المعنى نفسه. موازنة مُهمة تعكس في رأيي التناقض في الموقف لا لدى النحاة وحدهم، بل علماء المعاني معاً. حين قابل النحاةُ (يا محمدُ) بـ (أدعو محمداً) قال المعانيّون: (يا محمدُ) إنشاءٌ طلبيّ. نستنتج من هذا أن النحاةَ حين فسَّروا النداءَ بأسلوب خبري لم يقل واحدُهم إن نحو (يا محمدُ) أسلوب خبري؛ فلماذا يَعُدّون ما أسموه أسماءَ الأفعال الماضية والمضارعة جزءاً من جُمَل خبرية لا لشيء سوى أنّ جُمَلَهم المُفَسِّرة كانت خبرية؟!- رُبَّما أُسعِفُهم بجواب لا يُقنِعُني. قد يُجيبُ مدافعٌ عن موقفِهم بأن (النداء) إنشاء طلبي. أقول: ولِمَ أهملوا الإنشاءَ غير الطلبي إلاّ في استعمالات محدودة؟ لَفتَ انتباهي بيتٌ أورده الأستاذ عباس حسن مثالاً لـ (هيهات):

بَعُدتْ ديارٌ، واحتوتْكَ ديارُ هيهاتَ للنجم الرفيع قرارُ

يبدو لي أن الأستاذ تَعمَّدَ أن يأتي بهذا البيت لِيُوثّق موقفَ النحاة أن (هيهات) تعني (بَعُدَ)، وليست بي حاجة لتكرار ما قُلتُه قبلاً ، وهو في هذا المثال أن صَدْر البيت إخبار ، وعَجُزه إنشاء . يحتمل الصدرُ الصدقَ والكذب على حين لا يحتملهما العجز. لم يكن الأستاذ عباس متردّداً ، بل يصرِّحُ بما ابتَنَى النحاةُ مَبدأهم عليه. قال: ((إن اسمَ الفعل مع فاعله بمنزلة الجملة الفعلية ؛ فلهما كُلُّ الأحكام التي تختصّ بالجُمَل الفعلية كوقوعها خبراً أو صفةً أو صلة أو حالاً .. و... وكاعتبارها جملة إنشائية طلبية إن دلّت على طلب (كاسم فعل الأمر، وما كان على وزن فَعال...) وغير هذا من كل ما تصلح له الجملة الفعلية بالضوابط والشروط الخاصة بكل حالة)) اهـ[٤٦].

هو يؤكد بهذا إيمانه ، كما قلنا ، بما ابتنى النحاةُ مَبْدأهم عليه. أنا أؤكِّدُ أنّ إصرار النحويّ على عَدِّ جُمَل اسم الفعل الماضي والمضارع خبريةً – يَؤُوْلُ إلى تشويه ترجمة هذه الجمل التي لها من التأثير البلاَغي بِسَبْكِها الإنشائي إلى حدٍّ تُصبِحُ فيه غيرَ مؤثرّة البتّةَ.

هناك تَردُّدٌ في مقابلة النحاة بعض أسماء الأفعال يعكس عدم اطمئنانهم إلى ما أَسَّسُوا عليه افتراضَهَم؛ فـ (عليكَ) المعروف في باب أسماء الأفعال أنه اسم فعل أمر بمعنى (الْزَمْ) ربّما كان اسم فعل مضارع بمعنى (أَعتصِمُ). والمثالُ المصنوع هو: عَليَّ بالكفاح لبلوغ الأماني[٤٧]. في الحقيقة كان بإمكانه تقدير لام الأمر (لِأَتمَسَّكْ) ليحافظ على المعنى والأسلوب الطلبي. أَوضَحُ من هذا أنهم وضعوا ثلاثة تفسيرات لاسم الفعل (حَيَّهَلْ) ؛ فهو بمعنى (ائْتِ) في (حَيَّهلِ الثَّريدَ)، وبمعنى (أَقبِلْ) في (حَيهلْ على الخير) ، وبمعنى (أسرِعْ) في (إذا ذُكِرَ الصالحونَ فحيّهلْ بِعُمَرَ) ، أي: أسرعوا بذِكْرِ عُمَرَ[٤٨]. كما رأينا هو لازمٌ مُتَعَدٍّ ذو عِدّةِ معانٍ.

وأخيراً أُكرِّرُ ما قُلْتُهُ في المقدِّمة ؛ فلعلَّ جعفَر بن صابر كان أوعاهم لحقيقة الأمر، فقالَ: إنها قسم رابع للكلمة سمّاه (الخالفة) يقصد: خليفة الفعل واللهُ أعلم.

٧- كيفية وَصْفها في التحليل الإعرابي:

تَقْضِي نظرةُ المُنصِف مجاراة النحاةِ فيما يتعلَّقُ بأسماء أفعال الأمر ، مرتجلةً كانت أو معدولةً أو منقولة، وإن تقتضي الدِّقَّةُ توجيهَ التحليل أحياناً على نحو يكون مُقنِعاً للواقع التركيبي من جهة وللْمُتَلقِّي الذي يمثّلُهُ طلابُنا الأعزّاء.

وبوصفي محافظاً ولاسيما حِرْصي على ديمومة نحو ألفية ابن مالك الغَرّاء- أعتقد أنّ استمرار إطلاق (اسم فعل أمر) هو أَوْلَى من إطلاق (فعل أمر) ما دام يحتفظ بركني الجملة الأساسيين ولا يُخلُّ بواقع الدلالة للجملة العربية ؛ فـ (صَهْ) أو (نَزالِ) أو (عليك) تتمتَّعُ بمؤهِّلات

الفعليّة والإسناد. وللفُروق التي ذكرها النحاة يحقّ لهم تمييزُها عن الأفعال ذات العلامات والبَصَمات التي ذكرها المصّنِفُ في بداية الخُلاصة (الألفية) .

ما يَلفِتُ استغرابَ الطلاب هو التحليلُ الإعرابيّ لما سمّاه النحاة أسماء أفعال المُضيّ وأسماء أفعال الزمن الحاضر الذي اعتادوا على تسميته (المضارع). إنّ ما ذكرتْهُ اللجنةُ المصريّةُ المُيَسِّرة[٤٩] عن الأساليب وإن كان يُعفِي التركيب من إخضاعه لمنطق يشوّه حقيقة أمره- يتناقض مع ما اعتاد الطالب التسليم به من أوّليّات أركان الجملة العربية. هذا إذا أضفنا إلى معلوماتنا أن تجربة اللجنة حين طُبّقَتْ سنواتٍ في مدارس الوطن العربي لم تتمخّض عن اطمئنان التدريسيين والطلاب معاً ؛ فقرَّرَ مؤتمرُهم صرفَ النظر عنها حينئذ[٥٠].

وما يُهِمُّ هذا البحث هو ضرورةُ تسليط الضوء على (إنشائية) التعبير عند التحليل الإعرابي، وهو ما سَيُقِنع المدرِّسَ قبل الطالب بما يتبّناه في توضيحه الذي يتضمّن الأمانة والدّقّة فضلاً عن المحافظة على أساسّيات النحو العربي التي لا تُخِلّ بصدق التعبير عن موقع الكلمة في الجملة. لكنّ المهمّ أننا لا ننسى أن (الزمن) مُقحَم ولابّد من استبعاده.

(هيهاتَ) حين ترد مع اسم مرفوع كـ (هيهات العقيق) [٥١]: اسمُ فعلٍ يدلُّ عل الاستحالة والبُعد ، والعقيقُ : فاعِلُه ، والجملةُ إنشائيةُ التعبير. أما حين ترد (هيهاتَ) منفردة كما في بيت دوقلة[٥٢] فهي اسمُ فعل يدلّ على الاستحالة سدّ مسدّ ركَني الجملة الأساسيين. (أُفٍّ): اسم فعل يدلُّ على التضجُّر سَدَّ مسدَّ ركني الجملة الأساسيين.

ما أوَدّ أن أؤكّده هو أن أمرين أساسيّن لابدَّ أن يتوفرا في التحليل الإعرابي:

١) عدم إقحام (الزمن) بذكره مع أي اسم فعل ممّا اعتاد النحاةُ على ذكره بسبب ترجمة التعبير الإنشائي بالخبري.

٢) ضرورة بيان ما يمتاز به تعبيرُ اسم الفعل، وهو أنه (إنشاء) لا (خبر) تنطبق عليه مواصفاتُ ما ذكره علماءُ المعاني.

وهنا أودّ أن أذكر أن الباحث الأستاذ الذي اهتمّ بـ (أسماء الأفعال) ألمح إلى هذا وإن لم يُولِ هذا الأمرَ ما يستحقّه من بحثه. قال: ((وفيما أراه هي جمل إنشائية ترتب عليها أحكام الجملة الخبرية لم يرد لها شاهد استعمال في كلام العرب)) [٥٣]. إني وضّحتُ في هذا البحث أن أساس هذا الوهم قد تأتّى من ترجمة هذا التركيب بتركيب خبري.

أما فيما يتعلق بمعاني أسماء الأفعال هذه فلابُدَّ- في رأيي – من تنقيح بعضها. وهو ما ذكرتُه في الفصل السادس من هذا البحث. والمتأمّلُ لمعاني (واهاً) في بيتي رؤبة وأبي العتاهية مثلاً[٥٤] يقتنع في نظري بأن (التعجُّب) أُلصق بها إلصاقاً ، وان دلالتها بدقّة هي (الاستطابة) .

أرجو أن يعود القارئ الكريم إلى الفصل المذكور للاطّلاع على ما ذكرتُه عن (سرعانَ) و (هيهاتَ) و(شتانَ) و(بخٍ) ... الخ . إنّ المطّلع على النصوص العربية وذا السليقة يلحظان أن معاني لم يذكرْها النحاة تتدفّقُ من أسماء الأفعال هذه. كما إنه يجدُ أنّ كَمّاً لا بأس به من المعاني التي ذكروها لاحَظَّ له ممّا اجتهدوا فيه وانتزعوه انتزاعاً. والسببُ كما قلتُ هو رَغبتهُم في تكوين جُمَل يتوفّر فيها رُكنا الإسناد الأساسيان.

إن النتائج التي توصّلتُ إليها هي ثمرة خبرة دامت أكثر من أربعين عاماً آمُلُ ألاّ أكونَ مُفْرِطاً أو مُفَرِّطاً ؛ فالعربية لغةُ القرآن الكريم. اللهُمَّ اغفرْ لي وقيِّضْ من يُتمّمُ هذا من إخواني الباحثين.

الخاتمة

وضّح هذا البحثُ علاقةَ هذا الباب النحويّ المهم بالأسلوب الإنشائي الذي سلّم به النحاةُ فيما يتعّلق بأسماء أفعال الأمر فقط. أمّا أسماءُ الأفعال الماضية وأسماء الأفعال المضارعة (وهي أفعال الزمن الحاضر) فَبِحُكْم تفسيرها بأفعال ذات جُمَل خبرية أصبحتْ في نظرهم تمثّل جُملاً خبرية هي في نظر البحث عُقدةُ النتائج التي توصّلوا إليها؛ فهي لم تكتف بنقلها من تعبيرها الإنشائي إلى الخبري، بل أصبح لها زمن هو زمن أفعال الجمل المفسرة نفسهُ. وقد أشار العبدُ الفقير في بحث آخر ظهر في مجلة الأستاذ الغرّاء أنهم حمّلوا الصفةَ المشبهة أيضاً زمناً هي براء منه. وقد وضّح البحث قبل الكلام على هذا الموضوع في الفصول الثلاثة الأولى كيف أن النحاة بَنَوا قناعتَهم بتركيب أسماء الأفعال ودلالتها الزمنية على نظام الإسناد المُلزِم بتوفّر الركنين الأساسيين المسند والمسند إليه، وكيف آثروا مقابلتها بأفعال ذات أزمنة وتركيب يحتمل الصدق والكذب كما يقول علماء المعاني. ثم أشار في الفصل الثاني إلى حملة الاحتجاج التي بدأت بظهور (إحياء) المرحوم الأستاذ إبراهيم مصطفى ثم مقترحات اللجنة المصرية عام ١٩٣٨، المقترحات التي طرحتْ فكرة (الأساليب) المتجاهلة لنظام الإسناد وبسبب تجاهل علماء المعاني للإنشاء غير الطلبي وعدم إيلائه الأهمية التي يستحقّها خصّص الفصل الثالث لبيان ان الكثير ممّا أمالَ ذهنَ النحويين عن وضوح دلالة هذه التركيبات الإنشائية هو هذا التجاهل. وحين ولج هذا البحث في صُلْب الموضوع بَسَطَ القول عن أهمّ تبويبات نحاة المدرستين وما تمخّض من استقرار المعتدلين المحايدين ولاسيّما ابن مالك في الألفية. والتوفيق واضح في انتقائهم واستقرارهم على أنها أفعال لها خصيصة أو أكثر من خصائص الأسماء، فأطلقوا عليها (أسماء الأفعال) . ولأن أسماء أفعال الأمر نالت إجماع النحاة وعلماء المعاني

على طبيعتها الإنشائية ومطابقتها لدلالة صيَغ أفعال الأمر- لم يزد البحث على بيان ما وضحه النحاةُ من أنها آكَدُ وأقوى في التعبير عن الأمر من أفعال الأمر. وآثر البحثُ تحاشي إقحام دراسات أصول الكلمات Etymology في نتائج البحث النحوي الذي يُفترَض أن يلتزم بمنهج الوصف Descriptive.

أسماء الأفعال الماضية وأسماء الأفعال المضارعة- كما سمّاها النحاةُ- هي ما ينبغي الإفاضة في التحدُّث عنه. وقد نهض الفصلُ السادس بهذه المهمّة ، وكان يرصد ثلاثة أمور مهمّة تنعطِفُ بمُسَلَّمات النحاة مع المحافظة على عدم تناقض نتائجها مع نظام الجملة العربية لتتناغم أبوابُ النحو ولا تتعرّض أساسيّاتُه لاهتزاز في ذهن الطالب. ثلاثة الأمور هي: ١) حقيقتها الإنشائية ٢) براءتها من الزمن ٣) عدم دقّة تفسيرات النحاة لدلالة قسم منها.

والفصلُ السابع الأخير ضروري لبيان وَصْفها في التحليل الإعرابي بعد تنقيحها من أوهام الأسلوب الخبري والدلالة الزمنية وضرورة الدقّة في ترجمة معاني قسم منها.

آنا آمُلُ أن يصارحني إخواني الباحثون ويحاوروني في موضوع (أسماء الأفعال) ولاسيّما من درّسوا هذا الباب مثلي في الجامعة ؛ فقد بذلْتُ جهدي للتوفيق بين ما ورد في الألفية وما يعكسُه واقعُ النصوص. وفّقنا اللهُ لخدمة اللغة التي رفعَ لواءَها وخذَلَ أعداءَها.

الهوامش

(١) ينظر بحثنا في مجلة الأستاذ ، العدد ٢٠١/ص٣.
(٢) يستحسن ان تنظر ثلاث الفوائد المذكورة في هامشة شرح ابن عقيل ١/٢٦-٢٧.
(٣) ينظر المصدر السابق. وانظر: شرح الأشموني ٢/٤٨٤، معاني النحو ٤/٤١٩-٢٦.
(٤) الاتجاهات النحوية الحديثة، ص١٧٩-٨٥.
(٥) انظر: المصدر السابق، ص٨٥-٨٩.
(٦) المصدر والصفحات المذكورة في هامشة ٤.
(٧) Dictionnaire Francais – Anglais
(٨) Grammaire pratique, p.٢٥٢.
(٩) الاتجاهات النحوية الحديثة ، ص١٨٣.
(١٠) المعجم الوسيط ١/٢١.
(١١) المصدر السابق ١/٤٧٤.
(١٢) اللغة العربية : معناها ومبناها ص٨٨-٨٩، ص١١٣-١٨: عن (أساليب الطلب) ص١٨٩.
(١٣) المداخلات في النحو العربي، ص٦ .
(١٤) النحو الوافي ٤/١٥٥.
(١٥) الصحاح ٦/٢٤٨٣.
(١٦) المعجم الوسيط ٢/٨٣٦.
(١٧) المنجد ، ص٧٧٤.
(١٨) مجنون ليلى ، ص١٠٣. وانظر المفردة (لعاً) اسمَ فعل في النحو الوافي ٤/١٥٥
(١٩) النحو الوافي ٤/١٥٥.
(٢٠) انظر: الإيضاح ١/١٣٠-١٤٧، البلاغة الواضحة ، ص١٦٧-٢١٥.
(٢١) الإيضاح ١/١٣٠.

(٢٢) البلاغة الواضحة ، ص١٦٩.
(٢٣) المصدر السابق، ص١٦٧-٧٠.
(٢٤) ينظر: الإيضاح ١/١٤٦-٤٧.
(٢٥) ينظر: شرح الأشموني ٢/٤٨٤.
(٢٦) انظر: معاني النحو ٢/٧٣.
(٢٧) في النحو العربي قواعد وتطبيق ص١٤٠-٤١ (عن : أساليب الطلب ص١٨٨).
(٢٨) شرح الأشموني ٢/٤٨٤.
(٢٩) ينظر: شرح شذور الذهب ص٤٠٨-٤٠٩، شرح الأشموني ٢٠/٤٩٠، جامع الدروس العربية ١/١١٦-١٨.
(٣٠) ينظر: أساليب الطلب ص١٧١-٢٠٠.
(٣١) المصدر السابق، ص١٨٩-٩٠ (نقلاً عن النحو العربي نقد وبناء ص١١٨).
(٣٢) ينظر: علم اللغة ، ص١١.
(٣٣) ينظر: بحثنا: الاتجاهات النحوية الحديثة ، ص٢٧٦ .
(٣٤) وينظر: معاني النحو ٤/٤٢٣ (عن شرح الرضي على الكافية ٢/٧٦، ٨٢، ٨٣)
(٣٥) ينظر: شرح شذور الذهب ص٨٩-٩٨.
(٣٦) المصدر السابق، ص٩٠/الهامشة.
(٣٧) المصدر السابق، ص١٤.
(٣٨) النحو الوافي ٤/١٣٦.
(٣٩) ينظر: شرح ابن الناظم ص٢٤٩، شرح ابن عقيل ٢/٣٠٣، أوضح المسالك ٣/١١٦. شرح الأشموني ٢/٤٨٥.
(٤٠) الصحاح ٦/٢٢٥٧.
(٤١) المصدر السابق، وانظر: المعجم الوسيط ٢/١٠٧٤.
(٤٢) المعجم الوسيط ٢/١٠٧٤.
(٤٣) النحو الوافي ٤/١٥٥.
(٤٤) معاني النحو ٤/٤٢٣.
(٤٥) ينظر: شرح شذور الذهب ص٤٠٣ (الشاهد ٢١٤).
(٤٦) النحو الوافي ٤/١٥٣.
(٤٧) المصدر السابق، ٤/١٤٢.
(٤٨) انظر: أوضح المسالك ٣/١٢٠.
(٤٩) ينظر: الاتجاهات النحوية الحديثة ص١٧٩-٨٥.
(٥٠) المصدر السابق، ص٢٩٤-٣٠١.
(٥١) انظر: ص١٥ من هذا البحث.
(٥٢) انظر: ص١٤ من هذا البحث.
(٥٣) ينظر: أسماء الأفعال والأصوات ، ص٢٤٤.
(٥٤) ينظر: ص١٣ من هذا البحث.

ثبت المصادر والمراجع المذكورة

- الاتجاهات النحوية الحديثة ، فيصل أحمد فؤاد ، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.
- أحلى عشرين قصيدة حب في الشعر العربي، فاروق شوشة، دار العودة ، بيروت ١٩٨٣.
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين، د. قيس إسماعيل الأوسي، بغداد، ١٩٨٢م.
- أسماء الأفعال والأصوات (دراسة ونقد) رسالة ماجستير مخطوطة، عبدالهادي الفضلي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٠م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري(-٧٦١هـ)، ط٦، ١٩٦٦، بيروت.
- الإيضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني (-٧٣٩هـ) تحقيق وتعليق لجنة من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر، مطبعة السنة المحمّدية ، القاهرة.
- البلاغة الواضحة، على الجارم ومصطفى أمين، ط١٧، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م، دار المعارف بمصر.

- جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، مراجعة وتنقيح سالم شمس الدين، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- شرح ابن الناظم لألفية ابن مالك، طبعة النجف الأشرف ، ١٣٤٢هـ.
- شرح ابن عقيل (-٧٦٩هـ) على ألفية ابن مالك (- ٦٧٢هـ) ، ط١٤، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمَّى (منهج السالك إلى ألفية ابن مالك) ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط١، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م، بيروت -لبنان.
- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصاري (-٧٦١هـ) ط٨، ١٣٨٠هـ -١٩٦٠م، القاهرة، مطبعة السعادة.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية ، اسماعيل بن حماد الجوهري (- حوالي٤٠٠هـ) تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين ، بيروت (علماً أن الـ ط١ في القاهرة ١٩٥٦).
- علم اللغة ، د. علي عبدالواحد وافي، ط٧، القاهرة ، ١٩٧٣م.
- مجنون ليلى، أحمد شوقي بك، مطبعة مصر، ١٩١٦م.
- المداخلات في النحو العربي، فيصل أحمد فؤاد ، مجلة الأستاذ، العدد٢٠١ ١٥/٥/٢٠١٢م.
- معاني النحو ، د. فاضل صالح السامرائي ١٩٩١، مطبعة دار الحكمة، الموصل.
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، إخراج: إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، حامد عبدالقادر، محمد علي النجار . إشراف عبدالسلام هارون ، بيروت (علماً أنه طبع في القاهرة عام ١٩٦٠).
- المنجد في اللغة ، لويس معلوف ، ط٥، ١٩٢٧م، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية (ظهرت الـ ط١ عام ١٩٠٨م).
- النحو الكوفي وفائدته في تيسير اللغة العربية ، د. مصطفى جواد مجلّة المعلّم الجديد (وزارة المعارف العراقية) ، ج٣، السنة ١٣، مايس ١٩٥٠/ص٣٩-٤٨.
- النحو الوافي ، مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجدّدة، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨.
- **Cours de langue et de civilization francaise, G. Mauger , Librairie Hachette, Paris ,١٩٦٧.**
- **Dictionnaire Francais-Anglais , par Jean Mergault, Librairie Larousse, Paris , ١٩٧٣.**
- **Grammaire pratique du francais d'aujourd'hui, langue parlee, langure ecrite. G mauger, Librairie Hachette. Paris, ١٩٦٨.**

Deverbal Nouns and the non- indicative (insha'i) style

Faisal Ahmad Fouad

The research in brief: It's intention is to explain the relation of what is called in Arabic grammar: the nouns of past tense verbs and the nouns of present tense verbs – their relation with non - indicative (insha'i) style which was denied by classical grammarians.